للصائم دعوة لا ترد

خالد بن محمد الأنصاري

إن شهر رمضان هو شهر الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل القائل: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .وقد قال الامام ابن كثير -رحمه الله- (في ذكر هذه الآية الباعثة عن الدعاء متخللة بين أحكام الصيام ارشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند اكمال العدة ؛ بل وعند كل فطر لحديث " إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد ") .وقال تعالى: (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .فجعل الله عزوجل الدعاءَ عبادةً من العباداتِ لقوله سبحانه: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي).

والدعاء أكرم شيء على الله تعالى ؛ فقد ثبت في " السنن" من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء هو العبادة) وفي "صحيح مسلم" من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن جدعان؟وهو عبدالله ابن جدعان، من أجواد العرب ، ومن كرمائهم المشهورين ؛ وكان رجلاً جواداً سمحاً ، كريماً في الجاهلية ، كان له داعيانِ في طرفِ مكةَ ؛ داعٍ في الشمال ؛ وداعٍ في الجنوب يقول:هلموا إلى الطعام في دار عبدالله بن جدعان ؛ ولذلك مدحه الشاعر بقوله:

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّوآخَرُ فَوقَ دَارَتِهَا يُنَادِي
إلى قِصَعٍ مِنْ الشيزا عليهاالْبَابُ الْبُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهَادِ

وفي "صحيح مسلم" أن عائشة - رضي الله عنها - سألت الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ؛ ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المساكين ، فهل ذلك نافعه؟فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يا عائشة إنه لم يقل يوماً ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

فإن عدم التوجه بالدعاء إلى الله تعالى ؛ قد خلد ابن جدعان في النار إنه لم يقل يوماً رب أغفر لي خطيئتي يوم القيامة ؛ وهذا يجعلنا نفهم قوله تعالى: (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي ، سيدخلون جهنم داخرين).ولما كان الدعاء هو العبادة ؛ كان عدمه الكفر والإستكبار ، وفي " المستدرك" من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أفضل العبادة الدعاء) ولما كان الدعاء عبادةً ؛ وجب إخلاصه لله تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون) وفي " السنن" من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء) وقد قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاهُ ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أأله مع الله قليلاً ما تذكرون) فالله عزوجل هو الذي يجيب دعوة المضطرين ؛ وهو سبحانه ملجأ المهمومين والمكروبين ، وهو سبحانه غياث المستغيثين:

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلميا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ
قد نام وفدك حول البيتِ وأنتبهواوأنت يـا حيُّ يـا قيـوم لـم تنم
إن كـان جودك لا يـرجوهُ ذو سفهِفمن يـجـود علـى العاصين بالكرم

فالدعاءُ عبادةٌ عظيمةٌ ومن أفضلِ العبادات ، ولذلك نجد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ، ويستغيثون به ؛ فهذان الأبوانِ عليهما السلام يدعوان الله عزوجل ويقولان: (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا ، وترحمنا ، لنكوننّ من الخاسرين) وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام في معركةِ بدرٍ ؛ يرفع يديه إلى السماء ، ويدعوا حتى سقط رداءهُ عن منكبه الشريف ، فجاءه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - والتزمه من خلفه وقال:"بأبي أنت وأمي يارسول الله ؛ كفاك مناشدتك ربك ؛ فإن الله منجز لك ما وعد ؛ فأبو بكر الصديق يشفق على النبي صلى الله عليه وسلم من شدة إبتهاله ودعاءهِ وتضرعهِ ؛ فأي أمرئ منا يبتهل ويدعوا ويتضرع إلى لله عزوجل .وفي حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال: (يأتي على الناس زمان ، لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق) .ومن الدعاء أن يدعوا الإنسان بما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث كان يدعوا في صلاة الليل ويقول: (اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ؛ إهدني لما أختلف فيه من الحق بإذنك ؛ إنك تهدي إلى صراط مستقيم).

وعليه فلا ينبغي للمسلم أن يهون من شأن الدعاء ؛ ولا أن يعتبره كما يقول بعض المتهاونين حيلة العاجز ؛ بل الدعاء عبادة ، وشأنه عظيم ، وربما صلحت حال الإنسان بسبب دعوة:

أتهزأُ بـالـدُعَـاءِ وتَزْدريـهِوما تدري بِما صَنعَ الدُعَاءُ
سِهَامُ الليلِ لا تُخْطي ولكنلَهَا أَمَدٌ وللأَمَدِ إنْقِضَاءُ

■آداب الدعاء:
أولاً:أن يكون الداعي على وضوء وطهارة:لما ثبت في " الصحيح" من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال:لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين ؛ بعث أبا عامر بجيش إلى أوطاس - وهي منطقة قريبة من الطائف- وبعثني معه ؛ فرمي أبو عامر في ركبته ثم مات ؛ فعدت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فدعا بإناءٍ فتوضأ ؛ ثم رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم أغفر لعبدك أبا عَامِرٍ) .قال الحافظ ابن حجر في "الفتح":"ويستفاد منه إستحباب التطهير عند إرادة الدعاء".

ثانياً:الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه:لما ثبت في "السنن" من حديث علي - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل دُعَاءٍ محجوبٌ حتى يصلى علي).

ثالثاً:إستقبال القبلة:لما ثبت في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم: (إستقبل القبلة ودعا

على نفر من قريش).

رابعاً:رفع اليدين في الدعاء:لما ثبت عن سلمان الخير- رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عزوجل ليستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صِفْراً).

خامساً:خفض الصوت بالدعاء:لأن رفع الصوت يعتبر من الاعتداء في الدعاء لقوله تعالى: (أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) ولما ثبت في "صحيح مسلم" من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربعوا على أنفسكم ؛ إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ؛ إنكم تدعون سميعاً بصيرا) ولنا في ذلك أسوةٌ وقدوةٌ بعبدالله زكريا: (إذ نادى ربه نِداءً خَفِيا).

سادساً:أن يبدأ الداعي بنفسه قبل غَيرِهِ:لقوله تعالى: (ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وقوله: (ربنا أغفر ليّ ولوالديَّ وللمؤمنين).ولما ثبت في "الصحيحين" من حديث أُبيّ بن كعب – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم: (كان إذا أراد أن يدعو لأحد بدأ بنفسه):

يـارَبَّ! هـذا دُعَـائِـي كَيْفَ أَرْفَعُهُإِلَيْكَ وَّهـوَ عـلَى الآثَـامِ مَحْمُولُ
لَوْلاَ التَّأَمُّلُ فِي رُحْمَاكَ مَا انْفَرَجَتْنَفْسٌ وَلاَ كَانَ لِلْمَلْهُوفِ تَجْمِيلُ
يَـارَبَّ!أَنْـتَ وَلِـي فَـاهْـدِنِي سُبُلاًإِلى الـرَشَـادِ؛دُعَائِي فِيكَ مَـأمُـولُ
خَـفْـقُ الْقُـلُـوبِ دُعَـاءٌ أَنْـتَ تَسْمَعُهُوَلِلْـجَـوَارِحِ تَـسْـبِـيـحٌ وَتَـهْـلِيلُ

اللهم يَا وَلِيَّ الإِسلامِ وَأَهْلِهِ ثبتنا على الإسلام حتى نلقاكَ عليه وتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال.

خالد بن محمد الأنصاري